قناة لوغوس بالولايات المتَّحدة الأمريكيَّة
حلقات على الهواء (٢)
نوفمبر ٢٠١٦م

الأجبية أي صلوات السَّواعي

الجذور التَّاريخيَّة للترنم بالمزامير في كنيسة العهد الجديد

يُعدُّ سفر المزامير من أكثر أسفار العهد القديم تغلغلاً في صلوات الكنيسة المسيحيَّة شرقاً وغرباً. فهو تُـراثٌ موغِـل في القِدَم، نبت قبل ميلاد السيِّد المسيح بنحو عشرة قرون، وظلَّ يُتوارَث حتى اليَوم، أي بعد ميلاده له المجد، بأكثر من عشـرين قرناً. وقد اختبرَته الأجيال المتعاقبة، عبر كلِّ هذه القرون الطَّويلة، فكان لها مرساة آمنة، بل مرساة نجاة، لكلِّ نفـس علـى حدة، عبرت خطوب سنين هذه الحياة.

ولدينا إشارات مبكِّرة منذ القرن الثَّاني الميلادي، نعرف منها أنَّ الكنيسة صارت تُشجِّع أولادها على التَّرنُّم بـالمزامير. فقد تكلَّم العلاَّمة ترتليان (١٦٠-٢٢٥م) عن استخدام التَّرتيل بالمزامير في الصَّلوات العائليَّة، وشجَّع الزَّوجين المسيحيَّين لكي ينافس كلٌّ منهما الآخر في التَّرتيل بها[١].

ولازالت الصَّلاة بالمزامير في الكنيسة القبطيَّة ممارسة شعبيَّة، تمارسها كثير من الأُسَر القبطيَّة، سواء في الصَّباح الباكر قبل انصرافها إلى العمل، أو في المساء قبل الإيواء إلى الفراش. ويعود الفضل في ذلك إلى الأُمِّ القبطيَّة التَّقيَّة التي تُلقِّن أطفالهـا منذ الصِّغر كيفيَّة الصَّلاة بالمزامير رويداً رويداً. ولستُ أبالغُ إذا قلتُ: إنَّ أوَّل كتاب يتعرَّف عليه الطِّفل القبطي في بيته هـو "الأجبية"، أي كتاب الصَّلاة بالمزامير. وعلى قدر ما تترسَّخ عادة الصَّلاة منذ الصِّغر، يتعذَّر اقتلاعها في الكبر، بل ويستحيل.

إنَّ الكنيسة التي ترعى الصَّلاة بالمزامير خدمة شعبيَّة تنتشر بين الأُسر ومن داخل البيت، لا تبرد حرارتها أبداً، ولا تفتـر علاقتها بالمسيح. هذا هو الطَّريق الذي سلكه الآباء فبلغوا مساكن النُّور، وما على الأبناء إلاَّ اقتفاء آثار آبائهم.

ونعلم أيضاً من كتابات الآباء، كيف انتشر التَّسبيح بالمزامير في كلِّ العالم المسيحي. ويرسـم يوسـابيوس القيصـري (٢٦٠-٣٤٠م) المؤرِّخ، صورة حيَّة لذلك فيقول:

> [إنَّ طلب التَّرتيل بالمزامير باسم الرَّب، قد صار محبوباً لدى كلِّ أحد في كلِّ مكـان ... في المُـدن والقُـرى والحُقول][٢].

لقد دخل سفر المزامير إلى صلوات الكنيسة على مستويين: المستوى الأوَّل شمل كلَّ أسـرار الكنيسـة وطقـوس صـلواتها ومناسباتها على مدار السَّنة الطَّقسيَّة، وبلغ أوج كرامته في الكنيسة الجامعة، عندما صار يتصدَّر أي قراءة لفصل من الإنجيل المقدَّس، كتهيئة وتمهيد له. ويا للتَّلاحم البديع بين القديم والجديد، القديم الذي اكتسى روح الجديد، والجديد الذي حقَّق القديم واحتواه.

وإنَّ الكنيسة القبطيَّة، والتي هي مهد الرَّهبنة والصَّلاة بالمزامير، لازالت حتى اليَوم، هي كنيسة التَّرتيل بالمزامير، إكليروساً

1- J.G. Davis, *A Dictionary of Liturgy and Worship*, SCM Press LTD, 1972, p. 326.
2- *Ibid.*, p. 326.

ورُهباناً وشعباً. قُدَّاسها تبدأ بصلوات مسهبة من المزامير، وأسبوع البَصخة فيها، تحتل فيه خدمة ترتيل المزامير الوقت الأكبر، وكلُّ خدمة تعليميَّة فيها تُستهل بصلاة المزامير.

أمَّا المستوى الثَّاني الذي دخل به سفر المزامير إلى صلوات الكنيسة فهو ممارسة ''صلاة الأجبية'' أو ''صلوات السَّواعي''، وهو طقس مكتمل، قائم بذاته، عرفته كلُّ كنائس العالم. ولكن الأجبية القبطيَّة إلى يومنا هذا، هي أغنى كتاب صلوات سواعي بين كُتُب صلوات السَّواعي في الكنائس الشَّرقيَّة، إذ تحوي هذا العدد من المزامير، والتي تبلغ نصف سفر المزامير تقريباً.

صحراء مصر، هي الموطن الذي نشأت فيه ممارسة الصَّلاة بالمزامير

إنَّ صحراء مصر، هي الموطن الذي نشأت فيه ممارسة الصَّلاة بالمزامير، وتحدَّد فيها طقس ممارستها، ومنها انتقل هذا الطَّقس المقدَّس إلى كلِّ أنحاء العالم المسيحي شرقاً وغرباً، حيث انتشر التَّسبيح بالمزامير، كأوَّل تقديس وتكريس لليَوم، وكختام لنهايته أيضاً. وبانتشار ممارسة الصَّلاة بالمزامير في الأماكن المختلفة، اختلفت وتباينت طقوس ممارستها، طبقاً لظروف وطبيعة كلِّ مكان.

وفي صلوات السَّواعي لا يُرفع بخورٌ، لكن توقد شموعٌ أمام باب الهيكل الكبير. وهي كخدمة صلاة مستقلَّة، لا زالت تمارَس حتى اليَوم في الأديرة. أمَّا في كنائس المدن، فقد انتقل هذا الطَّقس لكي يُتمَّم من داخل القُدَّاس الإلهي، كتمهيد واستعداد له، إلاَّ أنه لم يكن في التَّقليد القديم بصورته المعروفة لدينا اليَوم.

أي أنَّ صلوات السَّواعي في الطَّقس القبطي، أي في مصر بالتَّحديد، هي ذات أصل ديري أو رهباني، حيث نشأت أوَّلاً في الأديرة، ولا زالت تُمارس بها. وهي سواعي نصف اللَّيل، باكر، الثَّالثة، السَّادسة، التَّاسعة، الغروب، والنَّوم. فهي سبع سواعي، أُضيف عليها في أوائل القرون الوُسطى، ساعة تعقب صلاة النَّوم، هي ''صلاة السِّتار''.

أوَّل ذكر عن صلاة السِّتار

وكنتُ أظنُّ من قَبْل، أنَّ **القس أبو البركات بن كَبَر** (+١٣٢٤م) هو أوَّل من أشار إلى صلاة السِّتار، والتي يُصلِّيها الرُّهبان في بريَّة مقاريوس، وذلك في كتابه ''مصباح الظُّلمة وإيضاح الخدمة''، ولكنَّني وجدتُ أنَّ ''مختصر قوانين'' **أبي صُلح يونس بن نانا**، المدوَّن قبل سنة ١٠٢٨م، قد أورد في الجملة الرَّابعة والعشرين منه، القانون التَّالي بنصِّه: ''مواقيت الصَّلوات سبعة، منها صلوة الغداة، والسَّاعة الثَّالثة، والسَّاعة السَّادسة، والسَّاعة التَّاسعة، والإسبارينا[٣]، والسِّتار وهي صلاة العشاء، الآخرة للنَّوم وصلوة النِّصف من اللَّيل''[٤].

وعلى ذلك، وبحسب ما يقوله **أبو صُلح بن نانا**، فإنَّ صلاة السِّتار أصبحت معروفة في كنيسة مصر في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي، على الأقل في بعض كنائس المُدُن، وليس في الأديرة فقط. برغم أنه قد ظلَّت بعض مخطوطات الأجبية لا تذكرها، حتى إلى أواخر القرن الرَّابع عشر الميلادي.

٣- ''الإسبارينا'' كلمة يونانيَّة τὰ ἐσπερινά (إسبرينا) وهي هنا في صيغة جمع محايد، والمفرد منها هو كلمة τὸ ἐσπερινόν (إسبرينون) وتستعمل هذه الكلمة سواء في المحايد المفرد أو الجمع، كاسم بمعنى ''الخدمة المسائيَّة'' evening service . أمَّا الصِّفة منها فهي كلمة ἐσπερινός (إسبرينوس) وتعني ''مسائي''.

Lampe, GWH, *A Patristic Greek Lexicon*, Oxford, 1961, p. 551.

٤- انظر: مخطوط رقم (عربي ٢٥٢) بالمكتبة الأهليَّة بباريس، (١٦٦٤م)، ص ٦٩٩

تبسيط لمحتوى صلوات الأجبية

تتكون بنية كلِّ ساعة من صلوات السَّواعي، من مقدِّمة، وخاتمة. وهذه المقدِّمة والخاتمة ثابتة لا تتغيَّر، ويقع بينهما مضمون كلِّ ساعة من السَّواعي، وهو متغيِّر من ساعة إلى أُخرى.

وباستثناء المقدِّمة والخاتمة لكلِّ ساعة من سواعي الصَّلاة، يشتمل مضمون كلِّ ساعة على العناصر اللِّيتورجيَّة التَّالية:
- اثني عشر مزموراً.
- فصل من الإنجيل المقدَّس.
- قطع ذات مرد.
- كيرياليسون (٥٠ مرَّة) أو (٤١ مرَّة)[٥].
- الثَّلاثة تقديسات.
- أبانا الذي.
- صلاة التَّحليل.

(أ) المقدِّمة

الافتتاحيَّة التي تتكرَّر في كل ساعة من سواعي الصلاة

• نبدأ بقولنا ⲡⲟ̅ⲥ̅ ⲡⲟ̅ⲥ̅ ⲛⲁⲓ ⲛⲁⲛ ⲁ̅ⲗ̅ أي ''ياربُّ، ياربُّ[٦] ارحمنا. اللِّيلويا''. ثمَّ نكمِّل بالقبطيَّة أو بالعربيَّة: ''باسم الآب والابن والرُّوح القُدُس، إله واحد[٧] آمين''. ثمَّ ''المجد للآب والابن والرُّوح القُدُس، الآن وكلُّ أوان، وإلى دهر الدُّهور، آمين''. ثمَّ الصَّلاة الرَّبانيَّة.

هذه الافتتاحيَّة ⲡⲟ̅ⲥ̅ ⲡⲟ̅ⲥ̅ ⲛⲁⲓ ⲛⲁⲛ التي تبدأ بها صلوات المزامير، هي فريدة في الطَّقس القبطي من بين كافة الطُّقوس الشرقيَّة، حيث تبدأ الصَّلاة بطلب الرَّحمة. وكلُّ أنواع الصَّلاة في الطَّقس القبطي، بدون استثناء، تبدأ بطلب رحمة الرَّب. ففي طقس رفع البُخور، أو في صلوات المناسبات الكنسيَّة، يبدأ الكاهن بقوله باليونانيَّة:

῾Ελέησον ἡμᾶς ὁ Θεὸς ὁ πατὴρ ὁ παντοκράτωρ παναγία Τρίας ἐλέησον ἡμᾶς ...

أي ''ارحمنا يا الله الآب ضابط الكُل، أيها الثَّالوث القدُّوس (الكلِّي القداسة) ارحمنا ... الخ''.

وكما تبدأ الصَّلاة بطلب الرَّحمة، هكذا تنتهي بها أيضاً؛ ففي ختام صلوات المزامير، نختم بالطِّلبة: ''ارحمنا يا الله ثمَّ ارحمنا، يا من في كلِّ وقت، وفي كلِّ ساعة، في السَّماء وعلى الأرض، مسجودٌ له وممجَّد ...''. وبرغم أنَّ هذه الصَّلاة الختاميَّة تعرفها أيضاً الكنيسة البيزنطيَّة بنصِّها، إلاَّ أنَّ مقدِّمتها ''ارحمنا يا الله ثمَّ ارحمنا''، هي تقليدٌ قبطيٌّ بحت، لا تشترك فيه أيُّ كنيسة أُخرى. وفي ختام صلوات التَّسبحة، يكون ختام التَّسبيح هو **Ⲫϯ ⲛⲁⲓ ⲛⲁⲛ** ''يا الله ارحمنا ...''، والمرد المتكرِّر هو ''كيرياليسون – ياربُّ ارحم'' Κύριε ἐλέησον (ثلاث مرَّات). وأيضاً في ختام أيِّ اجتماعات كنسيَّة، يقول الكاهن: ''ليتراءف الله علينا، وليباركنا، وليُنر بوجهه علينا، **ويرحمنا**[٨]...''.

فرحمة الرَّب هي لنا أفضل من الحياة. بها نبدأ صلواتِنا، وبها نختمها. وبها نبدأ حياتَنا، وبدونها لا تكون لنا حياة.

٥- سأعود إلى شرح هذا الاختلاف بين هذين الرَّقمين مرَّة أُخرى.
٦- هكذا كان يردِّدها بعض شيوخ الكهنة الذين سمعتهم في أواخر الخمسينيَّات وأوائل السِّتينيَّات من القرن العشرين.
٧- عبارة ''إله واحد'' لا توجد سوى في تقليد الكنائس الشرقيَّة فقط، أمَّا الغرب المسيحي فلا يعرفها.
٨- ورد النَّص هكذا في النُّسخة السِّينائيَّة.
Edwin Hatch and Henry A. Redpath, *A concordance to The Septuagint,* Austria 1975, vol. 1, p. 450.

أمَّا تكرار لفظة ''يارب'' في افتتاحيَّة صلوات السَّواعي في الطَّقس القبطي، والتي يقولها الكاهن أمام باب الهيكل، باب السَّماء، فهي تضعه مع المصلِّين في مواجهة قول الرَّب: «اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيِّق، فإني أقول لكم: إنَّ كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدرون، من بعد ما يكون ربُّ البيت قد قام، وأغلق الباب، وابتدأتم تقفون خارجاً وتقرعون الباب قائلين: ياربُّ ياربُّ افتح لنا. يجيب ويقول لكم: لا أعرِّفكم من أين أنتم ... تباعدوا عني يا جميع فاعلي الظُّلم»[٩]. وهنا رَبَط الرَّب بين الدُّعاء باسمه '' ياربُّ ياربُّ ''، وبين فعل ما يقوله. وهكذا يخاطب الرَّب كلَّ من يقولون في بداية صلاتهم ''ياربُّ ياربُّ''، قائلاً لهم: «لماذا تدعونني ياربُّ ياربُّ، وأنتم لا تفعلون ما أقوله[١٠]». ويؤكِّد الرَّب هذا الأمر في موضع آخر ويقول: «ليس كلُّ من يقول لي ياربُّ ياربُّ، يدخل ملكوت السَّموات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السَّموات. كثيرون سيقولون لي في ذلك اليَوم ياربُّ ياربُّ ... فحينئذ أُصرِّح لهم إني لا أعرفكم قط، اذهبوا عنِّي يا فاعلي الإثم»[١١]. فياربُّ ياربُّ افتح لنا باب الرَّحمة، قبل أن تفتح لنا باب السَّماء.

وإنَّ تكرار لفظة '' ياربُّ '' هي ذات تقليد يعود إلى العهد القديم، حيث أنَّ تكرار النِّداء بالاسم مرَّتين، هو من الأدب العبراني، والذي انتقل إلى الكنيسة المسيحيَّة. فهكذا خاطب الرَّب صموئيل قائلاً له: «صموئيل صموئيل». وخاطب إبراهيم أب الآباء بقوله له: «إبراهيم إبراهيم».

• أمَّا عن الذُّكصا ''المجد للآب ...'' في الافتتاحيَّة، فهي تقليد تعرفه كافة الطُّقوس البيزنطيَّة والسِّريانيَّة والمارونيَّة، إلى جوار الطَّقس القبطي، ولكن بتعديل بسيط، وهو أنَّ هذه الذُّكصا تأتي بعد الصَّلاة الرَّبيَّة في هذه الطُّقوس، وليس قبلها كما في التَّقليد القبطي.

حول الصَّلاة الرَّبانيَّة

الطَّقس القبطي يجعل من الصَّلاة الرَّبيَّة بداية مطلقة لكلِّ صلوات السَّواعي على مدار السَّنة الطَّقسيَّة، وفي مختلف مناسباتها، ولا يسبقها سوى الافتتاحيَّة السَّابق ذكرها، برشم علامة الصَّليب، والسُّجود الكامل إلى الأرض، وإعطاء المجد للآب والابن والرُّوح القُدُس.

وهذه الصَّلاة الرَّبانيَّة التي علَّمها السيِّد المسيح لتلاميذه، لم تكن شكلاً ليتورجياً جديداً، لكن الرَّب أعاد الـ Tefila أي ''الصَّلاة'' التي كانت تُتلى في الكنيس اليهودي في خاتمة العبادة يوم السَّبت، وكانت تُتلى أيضاً ثلاث مرَّات في اليَوم، وهي:

أبانا ومليكنا،
ليتقدَّس اسمك.
لتثبُت مملكتك في كلِّ الأرض.
ليتقدَّس اسمك في سماء السَّموات.
أعطنا أن نأكل الخُبز السَّماوي.
اغفر لنا، لأننا خالفنا وصاياك.
احمنا من الشَّر في سُبُل التَّجربة.
لأن لك المُلك والمجد والقوَّة إلى الأبد[١٢].

٩- لوقا ١٣:٢٤، ٢٥، ٢٧
١٠- لوقا ٦:٤٦
١١- متى ٧:٢١- ٢٣
12- Bishop Alexis, *Continuity of worship between synagogue and church*, The Graduate school of ecumenical studies, Bossey, 1964-1965(unpublished).

وكان أوَّل ذكر للصَّلاة الرَّبانيَّة بعد الأناجيل المقدَّسة، هو ما يذكره كتاب الدِّيداخي – تعليم الرُّسُل – عنها، وهو من مدوَّنات أواخر القرن الأوَّل الميلادي، حين تورد الدِّيداخي نصَّ الصَّلاة، ثمَّ تقول: ''هكذا تُصلُّون ثلاث مرَّات في اليوم'' (ديداخي ٨:٣)، وهي أقدم إشارة ليتورجيَّة، تشير إلى استخدام الصَّلاة الرَّبانيَّة في خدمة الصَّلاة المسيحيَّة اليوميَّة، خارجاً عن القُدَّاس الإلهي.

أمَّا دخول صلاة ''أبانا'' في صلوات الإفخارستيَّا، أي في القُدَّاس الإلهي، فقد جاء متأخِّراً في نهاية القرن الرَّابع، وذلك في كافة الطُّقوس الشَّرقيَّة، أي في طقوس أورشليم ومصر وسوريا وشمال إفريقيا. أمَّا روما، فقد تأخَّر دخول هذه الصَّلاة إليها حتى سنة ٥٩٥م، في أيام غريغوريوس الكبير (+ ٦٠٤م).

ونجد الصَّلاة الرَّبانيَّة في مخطوط الدَّير الأبيض بسوهاج، والذي يعود إلى القرن السَّابع الميلادي، والذي يحمل لنا طقس القُدَّاس القبطي في أيام البابا بنيامين الأوَّل، البطريرك الثَّامن والثَّلاثين، في القرن السَّابع الميلادي، وهو الوقت الذي أصبحت فيه الصَّلاة الرَّبانيَّة، منتشرة في كافة اللِّيتورجيَّات الشَّرقيَّة والغربيَّة.

خبزنا الذي للغد، وخبزنا كفافنا

إن عبارة ''خُبزنا الذي للغد'' في هذه الصَّلاة، قد وُجدت هكذا في التَّرجمة القبطيَّة للكتاب المقدَّس منذ القرن الثَّاني الميلادي. ويذكر القدِّيس جيروم (٣٤٢-٤٢٠م) أنها تعبيرٌ وُجد أيضاً في إنجيل العبرانيِّين[١٣]. ولقد وردت هذه العبارة في النَّص اليوناني هكذا: Τὸν ἄρτον ἡμῶν τὸν ἐπιούσιον أي «خُبزنا الجوهري»، ووردت العبارة في التَّرجمة البيروتيَّة «خُبزنا كفافنا». أمَّا ختام الصَّلاة الرَّبيَّة بعبارة ''بالمسيح يسوع ربِّنا''، فهي سمة تُميِّز الطَّقس القبطي دون غيره من الطُّقوس الأُخرى.

فما الذي يعنيه القول: ''خُبزنا الذي للغد أعطنا اليَوم؟'' إن كان اليَوم هو يوم الجُمعة، فهل نطلب أن يعطينا اليَوم خُبز يوم السَّبت؟ هذا لا معنى له، وبالأخص لأنَّ الرَّب أوصانا قائلاً: «لا تهتموا قائلين: ماذا نأكل أو ماذا نشرب .. لأنَّ أباكم السَّماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلِّها. لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبرَّه، وهذه كلُّها تُزاد لكم» (مت٦: ٣١-٣٣).

فما معنى أن يوصينا السيِّد المسيح بأن نطلب خُبز الغد؟ الغد هو اليَوم الذي صنعه الرَّب، هو الدَّهر الآتي، هو اليَوم الثَّامن، الذي لا تتضمَّنه أيام الأسبوع السَّبعة التي نعرفها على الأرض. إنه اليَوم الأبدي. لهذا نقول ''خُبز الحياة الأبديَّة، أعطه لنا اليَوم''. أي ''خُبزنا الذي للغد''، أعطه لنا الآن. هذا هو القُدَّاس: أن يعطينا خُبز الغد، لنأكله اليَوم، ونحيا إلى الأبد.

وإنَّ صلاة ''أبانا'' قبل التَّناول، تحمل معنى تطبيقي لقولنا: ''خُبزُنا الذي للغد أعطنا اليَوم''. فالإفخارستيَّا هي خُبز الحياة الآتية، الذي نتناوله في حياتنا الحاضرة، نقتات به يوماً فيوماً لنبلُغ به ميراثنا الأبدي.

وصلاة ''أبانا''، هي صلاة إفخارستيَّة بالدَّرجة الأولى، فيقول عنها غريغوريوس الكبير (+ ٦٠٤م) أُسقُف روما:

[إنَّ الرُّسُل كانوا يقدِّسون مادة الصَّعيدة بواسطة صلاة أبانا الذي في السَّموات وحدها].

وحين تورد الدِّسقوليَّة تعليمها عن الصَّلاة، بقولها: ''صلُّوا كما أمرنا الرَّب في الإنجيل: أبانا''، توصي قائلة: ''واسبقوا فأعدُّوا أنفسكم لأن تصيروا مستحقِّين لبنوَّة الآب، لئلا إذا دعوتموه بغير استحقاق 'يا أبانا'، يُرذلكم'' (٣٦:٢١-٢٤).

وما تعلِّم به الدِّسقوليَّة منذ القرن الرَّابع الميلادي، نجد صداه واضحاً كلَّ الوضوح في الطَّقس القبطي حتى اليَوم، إذ تُختم صلوات القسمة في الطَّقس القبطي بطلبة متكرِّرة في معظم هذه الصَّلوات، تتوسَّل إلى الرَّب، أن يؤهِّلنا لكي نقدر أن نفتح أفواهنا، وندعو الله أبانا أباً لنا. فتقول هذه الطِّلبة العميقة: ''طهِّر أنفسنا وأجسادنا وأرواحنا وقلوبنا وعيوننا وأفهامنا

13- M.R. James, *The Apocryphal New Testament*, p. 4 ; Burmester, *The Egyptian or Coptic Church*, Le Caire, 1967, p. 320.

وأفكارنا ونيَّاتنا، لكي بقلب طاهر، ونفس مستنيرة، ووجه غير مخزي، وإيمان بلا رياء، ومحبَّة كاملة، ورجاء ثابت، نستجرئ بدالة بغير خوف، أن نطلب إليك يا الله الآب القدُّوس الذي في السَّموات، ونقول: أبانا''. فيا للطَّهارة الواجبة علينا، لكي نكون مستحقِّين أن ندعو الله أباً لنا، ونخاطبه بدالة البنين قائلين: ''أبانا''.

صلاة الشكر

هي صلاة خاصة بالطَّقس الإسكندري، تأتي بعد الصَّلاة الرَّبيَّة، في كلَّ صلواتنا وطقوسنا المختلفة، على مدار السَّنة الطَّقسيَّة بدون استثناء، عدا ثلاثة أيام البصخة التي لا يُرفع فيها بخور.

والأدب اللِّيتورجي يحتِّم، أن تبدأ كلُّ صلاة إلى الله، بشُكره أولاً على عظيم صنيعه معنا، وعلى عنايته التي لا تهملنا لحظة واحدة ولا طرفة عين. ومعروفٌ أنَّ الشُّكر من كلِّ القلب في بداية الصَّلاة، هو القنطرة أو هو الجسر الذي نقيمه بيننا وبين الله، لتعبر من عليه طلباتنا إليه، وترتَّد إلينا من خلاله استجابته لصلواتنا وطلباتنا.

ومؤخراً، أي في أواخر السَّبعينيات من القرن العشرين، عرفنا أنَّ لصلاة الشُّكر، أصل يوناني قديم جدًّا[١٤]، ومن ثمَّ فإنه يمكننا الآن بكلِّ يقين، أن نُرجع هذه الصَّلاة إلى تاريخ ما قبل مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م، حيث يُظنُّ أنها صلاة ليتورجيَّة سحيقة في القِدَم، ذات أصول يهوديَّة، تعمَّدت بإضافة عبارات مسيحيَّة عليها، مثل ذكر عبارة ''أبا ربِّنا وإلهنا ومخلِّصنا يسوع المسيح''.

مزمور التَّوبة

ينقل إلينا القدِّيس باسيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩م) في رسالته الشَّهيرة رقم (٢٠٧) الموجَّهة إلى إكليروس قيصريَّة الجديدة، طقس تلاوة مزمور التَّوبة، أو مزمور الاعتراف، أو المزمور الخمسين، في بدء صلاة الصَّباح، ليس في تقليد كبادوكيا فحسب، بل أنها هي العادة المتَّبعة في مصر وليبيا وطيبة (في الصَّعيد) وفلسطين، والمنطقة العربيَّة، وفينيقية، وسوريا، وما بين النَّهرَين. وتلاوته تكون جماعيَّة، أي تلفظه الجماعة دفعة واحدة. ولقد حافظت معظم الطُّقوس الشَّرقيَّة حتى اليَوم على التَّقليد القديم، إذ أنَّ صلاة الصَّباح فيها تبدأ بمزمور التَّوبة.

ويحتفظ الطَّقس القبطي بافتتاحيَّة بطلب رحمة الرَّب، وبصلاة الشُّكر، وبترديد مزمور التَّوبة كمزمور أساسي في بداية كلِّ ساعة من ساعات النَّهار واللَّيل، بخلاف الطَّقس الأنطاكي الذي يرد فيه مزمور التَّوبة في صلاة الصَّباح فقط، وكذلك الطَّقس البيزنطي الذي يُصلِّي هذا المزمور في بعض ساعات النَّهار دون بعضها الآخر[١٥].

بذلك تكتمل الافتتاحيَّة التي تُصلىَّ في كلِّ ساعة من ساعات النَّهار واللَّيل. وهذه الافتتاحيَّة القبطيَّة لصلاة السَّواعي،

١٤- وذلك طبقاً لمخطوط كسمارسك Mr. Frank Kacmarcik Codex وهو مخطوط يوناني عربي للقُدَّاس القبطي.

Le Muséon, vol. 88, 1975, p. 391- 395.

وقد نشره العالم ماكومبر W.F. Macomber في بحث له بعنوان: ''النَّص اليوناني للِّيتورجيَّة القبطيَّة ولقُدَّاسي باسيليوس وغريغوريوس، طبقاً لمخطوط Kacmarcik ''، حيث ترد فيه صلاة الشُّكر في نصِّها اليوناني.

Cf. W.F. Macomber, *The Greek Text of the Coptic Mass and of the Anaphoras of Basil and Gregory According to the Kacmacik Codex*, in *Orientalia Christiana Periodica*, vol. 43, Roma, 1977, p. 315.

١٥- مثل صلاة نصف اللَّيل، وصلاة السَّاعة الثَّالثة، وصلاة النَّوم، ولكن ليس كمقدِّمة للصَّلاة، بل كأحد المزامير التي تُصلىَّ ضمن مزامير هذه السَّواعي.

Cf. Chevetogne, *La prière des Eglises de rite byzantin*, passim.

تُصلَّى حالياً بواسطة كلِّ الشَّعب بصوت منخفض، أو في صمت[١٦].

ويضاف على هذه المقدِّمة في صلاة باكر، طلبة: ''هلمَّ نسجُد، هلمَّ نسأل المسيح إلهنا. هلمَّ نسجُد، هلمَّ نطلب من المسيح ملكنا. هلمَّ نسجُد، هلم نتضرَّع إلى المسيح مخلِّصنا ...''. ونفس هذه الصَّلاة موجودة أيضاً في كتاب الهورولوجيون، وهو كتاب صلوات السَّواعي في الكنيسة اليونانية ''تعالوا نسجد ...''. وهذه المقدِّمة في الطَّقس البيزنطي تُقال في بداية كلِّ ساعة من سواعي الصَّلوات السَّبع، أمَّا في الطَّقس القبطي، فهي تُقال في صلاة باكر فقط، حيث يكون المصلِّي لازال صائماً، والسُّجود الكامل إلى الأرض (الميطانية)، يتَّفق دائماً مع الصَّوم.

أمَّا تكملة هذه الصَّلاة بنصِّها: ''يا ربَّنا يسوع المسيح كلمة الله إلهنا ... ونسأل أن تحفظنا في هذا اليَوم بغير خطيئة وأنقذنا''، ثمَّ فصل من رسالة بولس الرَّسول إلى أفسس، ثمَّ صيغة إيمانيَّة مختصرة تختص بالثَّالوث القدُّوس، فهي صلوات قبطيَّة خالصة، لا تعرفها الكنائس الشَّرقيَّة الأخرى.

وفي صلاة نصف اللَّيل نقول: ''قوموا يا بني النُّور ...'' وهو لحن بديع، تُستهل به هذه الخدمة، موضعه الطَّبيعي والقديم هو بعد المجدلة، والصَّلاة الرَّبيَّة، وصلاة الشُّكر، وقبل المزمور الخمسين.

بعد هذه الافتتاحيَّة السَّابق ذكرها، يقول المصلِّي أو رئيس الصَّلاة: ''صلاة السَّاعة ... من النَّهار المبارك، أقدِّمها للمسيح ملكي وإلهي، وأرجوه أن يغفر لي خطاياي. من مزامير معلِّمنا داود النَّبي، بركته علينا آمين''، وهي مقدمة عرفت منذ القرن السَّادس عشر الميلادي. ولكن مخطوطات الأجبية تشرح لنا طقساً أكثر بساطة. فنقرأ في أقدم المخطوطات تعبير ''صلاة الثَّالثة''، أو ''صلاة التَّاسعة'' بدون أي إضافات أُخرى. ثمَّ حدث تطوُّر بسيط لاحق، حين صار المُصلِّي يقول: ''صلاة السَّاعة الثَّالثة''، أو ''صلاة السَّاعة السَّادسة'' ... الخ. ثمَّ تُصلىَّ المزامير.

(ب) الخاتمة

وهي تنقسم إلى خمسة أقسام:

١- كيرياليسون (يارب ارحم)

ظلَّت معظم مخطوطات الأجبية، حتى القرن السَّادس عشر - وليس كلّها - تذكر أنَّ كيرياليسون تُقال (٥٠) مرَّة. ومع حلول القرن السَّادس عشر الميلادي بدأت مخطوطات الأجبية تذكر بأنها تقال (٤١) مرَّة. وهو ما نمارسه في الطَّقس القبطي الحالي. ولكن هناك من مخطوطات القرن الثَّامن عشر ما ظلَّ يحتفظ بالرَّقم القديم (٥٠) كيرياليسون. إلاَّ أنَّ بعض مخطوطات الأجبية القديمة تذكر (٤١) كيرياليسون.

وأظنُّ أنَّ ترديد كيرياليسون (٥٠) مرَّة، هي إحدى الممارسات التي عُرفت في أرجاء مصر الواسعة، ولاسيَّما في الأديرة البحريَّة. بينما عُرفت ممارسة أُخرى في جهات أُخرى من مصر - وربَّما يكون صعيد مصر - وهو ترديد كيرياليسون (٤١) مرَّة. ومن هنا كان اختلاف الأرقام بين مخطوطات الأجبية. حيث سادت الواحدة وتوارت الأُخرى.

أمَّا التَّفسير الذي شاع عن هذا الرَّقم (٤١) منذ العصور الوُسطى، أنه إشارة إلى الـ (٣٩) جلدة التي جُلد بها السيِّد المسيح، بالإضافة إلى إكليل الشَّوك، والطَّعن بالحربة في جنبه. ولم يذكر هذا التَّفسير المسامير التي سُمِّر بها الرَّب في يديه ورجليه. أمَّا الخولاجي المقدَّس، فيذكر أنَّ المسيح لُطم من عبد رئيس الكهنة لطمة واحدة، وجُلد أربعين جلدة[١٧]. فبهذا

16- Burmester, O.H.E., *The Horologion of the Egyptian Church, Coptic and Arabic text from a Mediaeval Manuscript* (Studia Orientalia Christiana, Aegyptiaca), Cairo, 1973, p. IX.

١٧- انظر: تثنية ٢:٢٥، ٣ ؛ ٢كورنثوس ٢٤:١١

المعنى يقولون في كلِّ صلاة (٤١) كيرياليسون''.

ولعلَّه من قبيل التَّأمُّل الرُّوحي للعدد (٤١) ''كيرياليسون''، هو أنَّ شريعة العهد القديم، قد أمرت بأن يُجلد المذنب أربعين جلدة «أربعين يجلده، لا يزد، لئلا إذا زاد في جلده على هذه ضربات كثيرة، يُحتقر أخوك في عينيك» (تثنية ٢٥:٣). وعلى ذلك، فقد جرى العُرف قديماً أن يُجلد المذنب أربعين جلدة **إلاَّ واحدة**، وذلك من قبيل الرَّحمة[١٨]. أمَّا في شريعة العهد الجديد، فبعد أن حمل الرَّب عنَّا عقوبتنا، وبجلداته وآلامه شُفينا، فنحن نتضرَّع إليه بأربعين طلبة رحمة **مع إضافة واحدة**. ومع تواتر طلب الرَّحمة، نتذكَّر في خشوع قول المزمور في نبوَّته عن جلدات يسوع التي كانت بسبب خطاياي؛ «على ظهري جلدني الخطاة، وأطالوا إثمهم» (٣:١٢٨ سبعينيَّة).

٢– قدُّوسٌ قدُّوسٌ قدُّوسٌ

وهذه الصَّلاة التي نردِّدها في ختام صلوات السَّواعي، والتي بدايتها ''قدُّوسٌ قدُّوسٌ قدُّوسٌ، ربُّ الصَّباؤوت، السَّماء والأرض مملوءتان من مجدك وكرامتك ...''، تتجمَّع فيها ثلاثة مردَّات تُقال كلُّها في اللِّيتورجيَّة القبطيَّة، أيّ القُدَّاس الإلهي. المرد الأوَّل هو المرد الذي يُقال قبل قول الكاهن ''أجيوس''، والمرد الثَّاني يُقال في القُدَّاس الغريغوري بعد المجمع وهو ''Bωλ ̀εβoλ – حل واغفر واصفح لنا يا الله عن زلاَّتنا ...''، والمرد الثَّالث هو مرد: ''كرحمتك يارب وليس كخطايانا''، والذي يُقال قبل الرُّشومات. وهذا المرد الأخير معروف أيضاً في اللِّيتورجيَّة اليونانيَّة[١٩].

٣– الصَّلاة الرَّبيَّة

وهي بداية ونهاية كلِّ صلاة في الكنيسة القبطيَّة على وجه الخصوص، تبتدئ بها صلوات المزامير، وتنتهي بها، وتبتدئ بها صلوات القُدَّاس الإلهي، وتنتهي أيضاً بها. وهذا هو الحال في كلِّ صلوات الكنيسة وأسرارها واجتماعاتها. فحيثما اجتمعت الكنيسة، تبدأ اجتماعها بالصَّلاة الرَّبيَّة وتُنهي اجتماعها بها.

٤– صلاة التَّحليل

ولكلِّ ساعة من سواعي الصَّلوات اليوميَّة، صلاة تحليل تختصُّ بها، وهي بمثابة ختام لخدمة الصَّلاة، وهو ما يذكره يوحنا كاسيان (٣٥٠/٣٦٠–٤٤٠/٤٥٠م).

٥– الطِّلبة الختاميَّة

وهي الطِّلبة التي بدايتها: ''ارحمنا يا الله ثم ارحمنا ...'' في الطَّقس القبطي الحالي. ولكن مخطوطات الأجبية الأكثر قِدَماً لا تعرف هذه الطِّلبة السَّابق ذكرها. بل هناك طلبة أُخرى أكثر قِدَماً تُقال في نهاية كلِّ ساعة من صلوات السَّواعي، نقرأ نصَّها كما يلي: ''**يارب ارحمنا. ياربُّ ارحمنا. ياربُّ ارحمنا. أيها الثَّالوث المقدَّس، اللَّهم رجاؤنا، ارحم جبلتك، وخلِّص نفوسنا**''.

ومع حلول القرن الثَّامن عشر، نجد أنَّ المخطوطات تذكر هذه الطِّلبة السَّابق ذكره مباشرة تحت عنوان: ''**هذه تُقال في كلِّ صلاة**''، وتورد قبلها الطِّلبة المعروفة لدينا اليَوم، تحت عنوان: ''**صلاة تُقال في آخر كلِّ صلاة**''. وهكذا بدأت المخطوطات تذكر الطِّلبة المعروفة لدينا اليَوم، وهي ''ارحمنا يا الله ثم ارحمنا ... الخ''، بدون أن تلغي الطِّلبة القديمة ''يارب ارحمنا ... اللَّهم رجاؤنا، ارحم جبلتك، وخلِّص نفوسنا''.

١٨– انظر: ٢كورنثوس ١١:٢٤

19- O.H.E. Burmester, *The Greek Kerugmata... in the Coptic Liturgy*, Roma 1936, p. 377.

ونخلُص إلى أنَّ الطِّلبة القديمة التي كانت تُقال في نهاية كلِّ ساعة من سواعي الصَّلاة ''**يارب ارحمنا ... أيها الثَّالوث المقدَّس، اللَّهم رجاؤنا، ارحم جبلتك، وخلِّص نفوسنا**''، قد بدأت تتوارى مع حلول القرن السَّادس عشر الميلادي. وبرغم ذلك فقد ظلَّت تدوَّن وحدها في بعض مخطوطات الأجبية حتى إلى القرن الثَّامن عشر الميلادي.

وبمقارنة النَّصين اليوناني والقبطي لهذه الطِّلبة الختاميَّة، نجد أن النَّاسخ القبطي أضاف ما يلي:

– المقدِّمة: ''ارحمنا يا الله ثم ارحمنا'' وردت في الأجبية القبطيَّة فقط، ولم ترد في الهورولوجيون اليوناني. وربَّما أضافها أحد النُّسَّاخ الأقباط الذين أدخلوا هذه الصَّلاة في الأجبية القبطيَّة. وقد وردت ''ارحمنا يا الله'' مرَّة واحدة في كلٍّ من ''أجبية أقلاديوس بك لبيب''، و''أجبية القُمُّص مينا البراموسي''، و''أجبية جمعيَّة التَّوفيق''، و''أجبية الأستاذ حبيب جرجس''.

– عبارة: ''الذي يحب الصدِّيقين ويرحم الخطاة''، أضافت مخطوطات الأجبية القبطيَّة بعدها مباشرة عبارات مختلفة، أضافها النَّاسخ القبطي، مثل: ''مثلي أنا''، و''التَّائبين''، ''مثل الذين أنا أوَّلهم''، حيث استقرَّت هذه الإضافة في عبارة: ''الذين أوَّلهم أنا''. وهذه الإضافة لم ترد في مؤلَّف ''كتاب الصَّلوات النَّهاريَّة واللَّيليَّة'' لروفائيل الطُّوخي. ولا في ''أجبية أقلاديوس بك لبيب''، ولا في ''أجبية القُمُّص مينا البراموسي''، ولا في ''أجبية الأستاذ حبيب جرجس''.

– عبارة: ''الذي لا يشاء موت الخاطئ مثل أن يرجع ويحيا''، هي إضافة قبطيَّة، ولم ترد في الهورولوجيون اليوناني، ولا في ''كتاب الصَّلوات النَّهاريَّة واللَّيليَّة'' لروفائيل الطُّوخي. ولا في كلٍّ من ''أجبية أقلاديوس بك لبيب''، و''أجبية القُمُّص مينا البراموسي''، و''أجبية جمعيَّة التَّوفيق''، و''أجبية الأستاذ حبيب جرجس''.

– عبارة: ''اشف أمراضنا واغفر خطايانا''، لا يعرفها النَّص اليوناني. ولم ترد في كلٍّ من ''أجبية أقلاديوس بك لبيب''، و''أجبية القُمُّص مينا البراموسي''، و''أجبية جمعيَّة التَّوفيق''، و''أجبية الأستاذ حبيب جرجس''.

فهذه الإضافات السَّابق ذكرها لم تظهر سوى في كتاب الأجبية المطبوع بعد منتصف القرن العشرين، نقلاً عن بعض مخطوطات الأجبية.

هذه الخاتمة بأقسامها الخمسة، ثابتة لكلِّ السَّواعي، ما عدا صلاة باكر وصلاة النَّوم، حيث يُضاف إليهما قبل عناصر هذه الخاتمة، العناصر التَّالية:

– ''قدُّوسٌ الله، قدُّوسٌ القوي، قدُّوسٌ الحي، الذي لا يموت ... ''.

– الصَّلاة الرَّبيَّة.

– ''السَّلام لك، نسألك أيتها القدِّيسة الممتلئة مجداً العذراء كلَّ حين ...''، وهكذا نطلب شفاعة السيِّدة العذراء كلَّ يوم مرَّتين، مرَّة في الصَّباح، وأُخرى في المساء. مرَّة بعد استيقاظنا من النَّوم، وأُخرى قبل أن نأوي إلى الفراش.

– قانون الإيمان بمقدِّمته: حيث نردِّد قانون الإيمان مرَّتين كلَّ يوم، صباحاً ومساءً. فنعلن إيماننا بإله واحد؛ الله الآب، وبرب واحد؛ يسوع المسيح ابن الله الوحيد، وبالرُّوح القُدُس؛ الرَّب المحيي، وبكنيسة واحدة، وبمعموديَّة واحدة.

أمَّا مقدِّمة قانون الإيمان ''نعظِّمك يا أُم النُّور الحقيقي، ونمجِّدك أيتها العذراء القدِّيسة مريم والدة الإله ... الخ''، والتي لا توجد سوى في الكنيسة القبطيَّة، فربَّما كانت من وضع أحد المجامع المكانيَّة التي عُقدت في كنيسة الإسكندريَّة في القرن الخامس الميلادي في زمن البابا كيرلس الكبير، ولكن لا توجد لدينا شهادة وثائقيَّة حتى اليَوم تؤكِّد ذلك.

(ج) ما بين المقدِّمة والخاتمة

وهو القسم المتغيِّر في كلِّ ساعة من سواعي الصَّلاة. وهو ينحصر في المزامير، وفصل الإنجيل، والقِطَع. وهي العناصر اللِّيتورجيَّة التي تحدِّد مضمون كلِّ ساعة.

١- المزامير في سواعي الصَّلاة

يعود نظام الاثني عشر مزموراً، إلى بداية الحياة النُّسكيَّة في مصر. ونعرف أنَّ الاثني عشر مزموراً تُرتَّل في خدمات النَّهار واللَّيل. وكان كلُّ مزمور يُرتِّله واحد بمفرده، أمَّا الباقون، فوقوفاً، يستمعون بانتباه إلى الكلمات. ولم يكن يُرَد في ختام كلِّ مزمور بالمرد ''هلليلويا''، وإنما يكون هذا المرد للمزامير التي كانت تعنوَن أصلاً بلفظة ''هلليلويا''.

وأمَّا مزامير صلاة باكر، فكانت اثني عشر مزموراً وذلك حتى حوالي القرن الرَّابع عشر الميلادي، باستثناء واحد فقط، وهو أنَّ المزمور الثَّامن «أيها الرَّب ربُّنا، ما أعجب اسمك في الأرض كلِّها ...» في الأجبية التي بين أيدينا، قد حلَّ محلَّه في بعض المخطوطات، المزمور العاشر «على الرَّب توكَّلتُ، كيف تقولون لنفسي اهربوا إلى جبالكم كعصفور ...». إلاَّ أنَّ بعضها الآخر يورد المزمورين معاً.

وبدءاً من القرن الرَّابع عشر الميلادي، نجد في المخطوطات أن مزامير صلاة باكر، أصبحت في بعضها ١٥ مزموراً، أو ١٦ مزموراً، أو ١٨ مزموراً. وهنا تجدر الإشارة إلى أنَّ مخطوطات الأجبية المتأخِّرة زمنياً بدءاً من القرن السَّادس عشر الميلادي، صارت تضيف سبعة مزامير على الاثني عشر مزموراً، وهي أرقام (٢٤، ٢٦، **٦٢**، ٦٦، ٦٩، ١١٢، ١٤٢).

ولكن ما يُلفت النَّظر جداً، هو غياب المزمور (٦٢) «يا الله إلهي إليك أبكر ...» من صلاة باكر في المخطوطات القديمة للأجبية القبطيَّة، وهو مزمور الصَّباح الشَّهير (ἑωθινός or ὀρθρινός ψαλμός) في كلِّ الطقوس شرقاً وغرباً، فهو حجر الزَّاوية في صلوات الصَّباح في كلِّ الطقوس. وكان أوَّل ذكر واضح له، في أيام البابا أثناسيوس الرَّسولي (٢٥٦- ٣٧٣م) في مقالته ''في البتوليَّة[٢٠] – De virginitate ''. وقد ذكره أيضاً القدِّيس يوحنا ذهبي الفم[٢١] (٣٤٧-٤٠٧م).

فهل كان غياب المزمور (٦٢) من صلاة باكر في الطَّقس القبطي القديم، بحسب مخطوطات الأجبية قبل القرن الرَّابع عشر الميلادي، هو بسبب أنَّ هذا المزمور كان يُرتَّل في صلاة السَّحَر جنباً إلى جنب مع مزامير السَّحَر (١٤٨- ١٥٠)؟ هذا ما يبدو واضحاً لي، لأنه بحسب ما ذكره البابا أثناسيوس الرَّسولي:

[في السَّحَر ὄρθρον قُلن هذا المزمور: «يا الله إلهي إليك أبكِّر، عطشت نفسي إليك»، أمَّا عند الشُّروق διάφαυμα فقُلن: «باركوا الرَّب يا جميع أعمال الرَّب، سبِّحوه» ثم ''المجد لله في الأعالي ...'' وبقيَّة القول].

٢- فصل الإنجيل المقدَّس في سواعي الصَّلاة

بحسب شهادة كاسيان، كان يتبع الاثني عشر مزموراً فصلان كتابيَّان، واحد من العهد القديم، والآخر من العهد الجديد. وفي يومي السَّبت والأحد، كان الفصلان من العهد الجديد فقط، واحد من رسائل القدِّيس بولس الرَّسول، أو من سفر الأعمال، والآخر من الإنجيل المقدَّس. وهذه أيضاً كانت العادة المتَّبعة في فترة الخمسين المقدَّسة[٢٢].

أمَّا حالياً، فإنَّ الفصل الذي يُقرأ من الكتاب المقدَّس، فهو فصلٌ من أحد الأناجيل فقط، ويُقرأ بواسطة أحد الحاضرين

20- *PG* 28, C. 275.
21- *PG* 4, C. 427.
22- *Ibid.*, p. 80.

أمام الهيكل الكبير[٢٣].

ولقد دخل فصل الإنجيل المقدَّس إلى الأجبية، منذ القرن السَّادس عشر الميلادي، لأنه حتى ذلك الوقت، كانت القطع تأتي مباشرة بعد المزامير.

وجدير بالذِّكر، أنه لا توجد فصول من الإنجيل المقدَّس تُصلَّى في صلوات السَّواعي في الطُّقوس الشرقيَّة عموماً ولاسيَّما الطَّقسين الأنطاكي والبيزنطي. وبذلك تكون كنيسة مصر هي الوحيدة بين الكنائس، التي استعادت مرَّة أُخرى هذا الطَّقس القديم الذي تؤكِّده الشَّهادات الوثائقيَّة في القرن الرَّابع الميلادي، كما يخبرنا بذلك القدِّيس يوحنَّا كاسيان.

٣- قِطَع السَّواعي

بدراسة نصوص قطع صلوات السَّواعي في كلٍّ من الكنيستين اليونانيَّة والقبطيَّة بما فيها القطع المختصَّة بالسيِّدة العذراء، والتي تُدعى في الكنيسة اليونانية ''ثيؤطوكيون''، اتَّضح أنها نفس النَّص اللِّيتورجي باستثناء بعض الحذف أو الإضافة الطَّفيفين. مع ملاحظة أنَّ قطع سواعي الثَّالثة والسَّادسة والتَّاسعة، متطابقة تماماً بين الأجبية القبطيَّة والهورولوجيون اليوناني. كما أنَّ هناك بعض قطع السَّواعي الأخرى في الأجبية القبطيَّة، موجودة في الهورولوجيون اليوناني، ولكن ليس في نفس السَّاعة المناظرة لها في الأجبية[٢٤].

إنَّ قطع السَّواعي في شكلها الأوَّلي، هي ذات أصول قديمة، منقولة عن أصل فلسطيني، أي عن كنيسة أورشليم. ولكن يصعب تحديد الزَّمن الذي أصبحت عنده بشكلها الحالي، إلاَّ أننا نخلُص إلى نتيجة، تتَّضح من دراسة النَّص القبطي لقطع السَّواعي، هي أنَّ التَّرجمة القبطيَّة غير منقولة عن النَّص اليوناني كما ورد في الهورولوجيون اليوناني، ولكن من نص يوناني آخر سابق عليه زمنياً.

والقِطَع القبطيَّة بما فيها القِطَع التي تختص بالسيِّدة العذراء، لم تتأثَّر بكنيسة روما – كما هو شائع بين البعض في أيامنا هذه – ولكن أصولها الشَّرقيَّة قد حُفظت في كلٍّ من الكنيستين القبطيَّة واليونانيَّة.

إنَّ التَّقليد القبطي في قطع صلوات السَّواعي، يحوي القطعة الأولى والقطعة الثَّانية، ويعقبهما القطعة الخاصة بوالدة الإله. أمَّا التَّقليد الأورشليمي القديم، فيحوي القطعة الأولى فقط، ثمَّ القطعة الخاصة بوالدة الإله. أمَّا التَّقليد البيزنطي فيحوي القطعة الثَّانية فقط، ويعقبها القطعة الخاصة بوالدة الإله.

23- O.H.E. Burmester, *The Horologion of the Egyptian Church*, *op. cit.*, p. 9.

24- Burmester, O.H.E., *The Canonical Hours of the Coptic Church*, in *Orientalia Christiana Periodica (OCP)*, vol. 2, 1936, p. 83, 84.